ـ(119)ـ نعم، أدرك الإسلام هذا المعنى فاتخذ الأسلوب التربوي واستعمله في مجال إعطاء الأحكام السماوية، فكان يبدأ أولا بصياغة العقيدة الواضحة والشخصية المتعبدة ثم يهيء الأرضية الاجتماعية لصدور الحكم، وهكذا يتدرج حتى يعطي الحكم النهائي في الموضوع. وها نحن نضرب مثلا في هذا المجال، والمثال الذي نختاره تحريم الربا، وقبل الدخول في عرض هذا المثال ينبغي التنبيه إلى أمرين: الأول: ان النسخ في القرآن لا يمكن ان يتصور قيامه إلا على هذا الأساس. الثاني: ان القرآن المكي غالبا ما كان يقوم بعامل تهيئة المراحل الأولى لعملية التدرج، فبالإضافة إلى تركيزه العقائدي وتأكيده على خلق الشخصية المتعبدة كان يشير إشارات عابرة إلى الأحكام التي يراد بعد ذلك ان يلتزم المجتمع بتفاصيلها. وهذا ما يلاحظ في مثل الآيات التالية: ?وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا _ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا _ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا _ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا?(29). ?قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى _ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى?(30). ?يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ _ قُمْ فَأَنذِرْ _ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ _ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ _ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ?(31). فهي تركز على تهيئة النفسية التي تتطلب الصلاة وتتقبل ما يفرضه الإسلام عليها من أحكام الزكاة، وهي مما يزكي النفس... ومن ثم تأتي الآيات المدنية غالباً لتبين تفصيلات للتشريع وعلى مستواها من التدريج، حتى تصل إلى القالب النهائي المقصود من أول الأمر. وكمثال على ذلك تحريم الربا: